الكنيست الـ 19
كيف تؤثّر الصحافة والإعلام العربيّ على أنماط التصويت؟
وديع عواودة*

هل أثّر الإعلام العربيّ المحلّيّ (المكتوب والألكترونيّ) على السلوك الانتخابيّ للمواطنين العرب في انتخابات الكنيست الـ 19؟

للإجابة عن هذا السؤال، تؤخذ بالحسبان معطيات استطلاع "مدى الكرمل" التي تفيد أنّ نحو 45% من المجتمع العربيّ يقرأ وسائل الإعلام، وهذه بطبيعة الحال نسبة غير مرتفعة، ممّا يحدّ من احتمالات تأثيرها على جمهور المتلقّين وتحديد أنماط انتخابه. لا يشمل هذا الاستطلاع أو سواه سؤالاً حول مدى تأثير الإعلام العربيّ المحلّيّ على أنماط التصويت، ولذا نسعى للبحث عن توجّهات عامّة حيال هذا السؤال، من خلال مراجعة نقديّة للتغطية الصحفيّة العربيّة المحلّيّة لموضوع الانتخابات، دون إغفال دور الإعلام الاجتماعيّ والذي تحتاج مراجعته إلى جهد خاصّ.
تدلّل مراجعة تغطية انتخابات الكنيست الأخيرة منذ الإعلان عنها، في أواخر العام 2012، في الإعلام العربيّ المحلّيّ على حالة ضعف وفوضى مهنيّة وفقدان للمعياريّة. هذه الحالة لا بدّ لها أن تؤثّر سلبًا على أنماط التصويت باتّجاه زيادة ابتعاد الجمهور عن الكنيست ومنح الأحزاب الصهيونيّة ثغرات أوسع للتسلّل إلى الشارع العربيّ.

ثمّة مكان واسع للترجيح أنّ غياب مضامين التحقيق والمساءَلة والتقصّي قد ساهم في تفاقم المشكلة السياسيّة- الحزبيّة، وبالتالي لاتّساع الهوّة بين المنتخبين وممثّليهم. غاب النقد حتّى في الزوايا الساخرة، عدا بعض الحالات الشاذّة، وفي بعض الأحيان كانت بعض الزوايا الساخرة الناجحة توظّف ذخائرها لمعالجة ظواهر الفساد والفوضى في العالم العربيّ وسط تجاهل حالتنا. (على سبيل المثال: "عصفورة " في صحيفة "حديث الناس، وَ "أهداف" في صحيفة "كلّ العرب").

وعلى وجه العموم، ساهم غياب النقد في الصحافة (نتيجة قلّة الكفاءات والإمكانيّات والتحزّب والضعف وسطوة الإعلان على الإعلام) في تكريس الوضع الراهن السلبيّ داخل الأحزاب العربيّة، وهو ما ساهم في تراكم الخلل في الحزب الواحد وفي العلاقات بين الأحزاب، وبالتالي ساهم في تعمق حالة عدم الرضا في الشارع. فقد كان الإعلام العربيّ يميل إلى الاكتفاء بنشر البيانات (ليس ثمّة أيّ صحفيّ عربيّ مختصّ بالشؤون البرلمانيّة) ولتقزيم النقد. ينعكس ذلك في كثرة مقالات السياسيّين، والاكتفاء بتصريحات متناقضة حول فقدان القائمة المشتركة في انتخابات الكنيست بدلاً من القيام بتحقيق يكشف الحقيقة (للمراجعة: "حلم وحدة الأحزاب العربيّة يتبخّر" المنشور في "كلّ العرب" في 30.11.12؛ "تشاؤم بالنسبة لفرص الوحدة والقائمة المشتركة" المنشور في "كلّ العرب" في 9.11.12؛ "اتّفاق مبدئيّ على الشراكة وخلاف على المواقع" المنشور في "كلّ العرب" في 2.11.12؛ "اختلفوا على الوحدة واتّفقوا على الفائض- الجبهة والتجمّع" المنشور في "كل العرب" في 14.12.12).

بدورها، قرّرت الأحزاب العربيّة عدم التراشق، فغيّبوا الجدل وسادت حالة خمول واستكانة ولّدت معركة انتخابيّة مملّة متثائبة يغلب عليها النعاس. والإعلام من جانبه لم يبادر إلى إظهار الفوارق الحقيقيّة كما يُتوخّى منه، بل كان بمثابة صدى لحالة الركود، ممّا زاد في تعميق اللا مبالاة بدلاً من المساهمة في تبيان الفوارق الفكريّة والسياسيّة بين الأحزاب وإيقاظ الجمهور من سباته.
كما انعكس غياب النقد والمحاسبة من خلال هدر بضعة آلاف من الأصوات لقوائم هلاميّة؛ إذ لم تقم الصحافة العربيّة بمحاسبة القوائم العربيّة التي تهدر الأصوات ("دعم" وَ "أمل التغيير")، بل كانت تكتفي بنشر بياناتها فقط.

من ناحية أخرى، ساهم الإعلام العربيّ بتشجيع التصويت للأشخاص بدلاً من البرامج، مغيِّبًا بذلك المواقف والمضامين لصالح الأشخاص؛ إذ لم تَتَصَدَّ وسائل الإعلام العربيّة لصناعة النجوميّة في السياسة من خلال الكنيست والإعلام العبريّ. فبدلاً من إعادة السياسة إلى أصولها وقواعدها، ساهم

الإعلام العربيّ في الترويج لصناعة التصريحات والحركات البهلوانيّة الفارغة، وهي أقرب لِـ "فشّة الغلّ" منه إلى العمل السياسيّ.
ثمّة مكان للاعتقاد أنّ قطاعًا واسعًا من الشباب صوّت لهذا الحزب أو ذاك كَرمى لعيون فلان أو فلانة، لا عن قناعات فكرية وسياسيّة، ولا استنادًا إلى برامج ورُؤًى، ولا شكّ أنّ الإعلام تَساوَقَ مع هذه اللعبة بدلاً من أن يقوم بتحجيمها.

وفي الغالب، شهدنا ظاهرة سلبيّة أخرى: تبنّت كل وسيلة إعلامٍ جهةً سياسيّة معيّنة: "كلّ العرب" انتقلت من موقف مُقاطِع للتجمّع إلى موقف مساند له. "الصنارة" مساندة للجبهة وأخبار التجمّع فيها سلبيّة دائمًا، وذلك منذ سنوات. هذه الحالة تعكس ضعف الإعلام العربيّ وتمسّ بمصداقيّته وتأثيره الإيجابيّ وتكرّس دَوْرَه في زيادة العزوف عن السياسة وعن التصويت للكنيست. قبل ذلك كانت معظم وسائل الإعلام تعمل وَفق أجِنْدة ومنحازة إلى هذا الحزب أو ذاك. هذا ما دفع حركة "أبناء البلد" للتأكيد في بيانها: "مقاطعة شعبنا أقوى من وسائل الإعلام وسكب الأموال" ("حديث الناس" - 14.1.13).

ظاهرة غياب النقد في الإعلام العربيّ انطبقت أيضًا على الأحزاب الصهيونيّة، فكان اعتماد البيانات المثقلة بالرسائل الدعائيّة الصادرة عن الأحزاب الصهيونيّة هو اللون الغالب على معالجة الإعلام العربيّ للأحزاب الصهيونيّة ممّا منحها فرصة للتأثير دون أيّ غربلة وإنذار. من ذلك، على سبيل المثال: "إيلي يشاي: أتوقّع أن يحصد الليكود على عدد المقاعد الأكبر وسيشكّل الحكومة القادمة وشاس في الائتلاف"- "كلّ العرب" وَ "الصنارة" 9.11.12). أي إنّ الإعلام العربيّ لا يساهم في حماية الشارع العربيّ من تسلُّل الأحزاب الصهيونيّة؛ فالتغطية محايدة أو محيّدة، وأحيانًا تشارك في الترويج لها عن قصد (إعلانات)، أو عن دون قصد لقلّة الكفاءة وغياب قلم التحرير.

لم يَخْلُ المشهد من بعض الشوادّ التي حاولت معالجة هذا الموضوع وَفق معايير مهنيّة. فعلى سبيل المثال، بعدما زار وزير التربية والتعليم السابق غدعون ساعر قرية عيلبون عشيّة الانتخابات في محاولة لاستغلال الزيارة للترويج للحزب الحاكم، وبواسطة تعاون رئيس المجلس وتطويع بعض

الطلاّب، كتب كلّ من موقع "بكرا " وصحيفة "حديث الناس" (18.1.13) تقريرًا بعنوانين متشابهين: "عيلبون تستقبل ساعر بـِ "يا طلّة خيلنا"، وجرى فضح استغلال الزيارة لمآرب انتخابيّة بالصور والتفاصيل.

لم يقتصر تعامل الإعلام العربيّ على غياب النقد، بل رافقه في أحيان كثيرة تَبَنٍّ للخطاب التحريضيّ المهيمن في الإعلام العبريّ من خلال **تبنّي روايته و**مفرداته وتعابيره، ولا سيّما مقولة "شو عملتولنا؟!" التي أجّجها ورعاها الإعلام العبريّ، وكأنّ النوّاب العرب جزء من السلطة التنفيذيّة لا التشريعيّة، وسط تجاهل عامّ لعدم جدوى بعض الوزراء العرب في الحكومات الإسرائيليّة بالنسبة للمَصلحة العامّة العربيّ. وقد ساهمّ كلّ ذلك في تعميق المزاج العامّ نحو العزوف عن التصويت.
في مقابل هذا الضعف في الأداء أثناء الحملة الانتخابيّة، تجنّدت بعض وسائل الإعلام العربيّة ("راديو الشمس" وَ "كلّ العرب" –على سبيل المثال) في الأيّام الأخيرة لإنقاذ الأحزاب العربيّة من كارثة انتخابيّة. لولا تلك "الفزعة"، لانعكست حالة العزوف في صناديق الاقتراع وفي انحسار قوّة الأحزاب العربيّة. تجلّى ذلك في حملة تشجيع التصويت في "الشمس" وتجنُّد كامل في يوم الانتخابات: استضافة من يؤيّد التصويت ويبدي موقفًا غير ناقد. "كلّ العرب" ذهبت إلى حدّ المبادرة لجمع رؤساء الأحزاب العربيّة في لقاء مشترك ومع صورة مشتركة دعت للتصويت: "اخرجوا للتصويت للأحزاب العربيّة" ("كلّ العرب" -18.3.13)، ومن تحته عنوان فرعيّ: رئيس المتابعة يناشد الجماهير العربيّة بالتصويت للأحزاب العربيّة". **"مقاطعة الانتخابات والجلوس في المنازل يعتبر تصويتًا للأحزاب الصهيونيّة".**

على الجملة، يمكننا القول إنّه رغم عدم توافر قاعدة معلومات شاملة، بوسعنا الاستخلاص أنّ الإعلام العربيّ المحلّيّ ما زال ضعيفًا، وأنّ تأثيره على السياسة العربيّة على وجه العموم ضعيف، وهذا ينسحب على السلوك الانتخابيّ في انتخابات الكنيست. ونتيجة فقدان المعايير المهنيّة المفترَضة، جرى تكريس حالة العزوف عن الانتخابات في الشارع العربيّ، رغم "فزعة" بعض وسائل الإعلام في يوم الانتخابات. الإعلام والسياسة بينهما علاقة تغذية متبادلة وعلاقة تكامُل تقوم نظريًّا على

قاعدة الشراكة في البناء، لكن الواقع مختلف نتيجة ضعف الإعلام العربيّ لأسباب متنوّعة بعضها تاريخيّ ومرتبط بتداعيات النكبة عام 48.

***وديع عواودة** هو كاتب صحفي، محرر صحيفة " حديث الناس".